(( طوبى للمستغفرين ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

 الأولى

«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ... » رواه مسلم .

الكمال في البشر محال ، فمن الذي لم تصدر من زلة ؟

من الذي لم يقع في معصية ؟

من ذا الذي ما ساء قط ؟ ومن له الحسنى فقط ؟

كل ابن آدم خطّاء

فالله عليم بعجزنا وضعفنا ، الله عليم بفقرنا ، ونقصنا ، ، ففتح لعباده أبواب الرجاء في عفوه ، والطمع في رحمته ومغفرته ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﭼ البقرة: ٢٢١

من ذا الذي يتألى على الله ألّا يغفر ذنوب عباده ؟

ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼ آل عمران: ١٣٥

«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ... » رواه مسلم .

يالله من نداء يستبشر به كل مؤمن .

كلنا نذنب ونخطئ ..

كلنا تزل بنا القدم فالتقصير من شأننا، والذنب من وصفنا ، « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رواه مسلم .

فالذنوب لو بلغت عنان السماء فالله يغفرها .

الذنوب لو تراكمت كزبد البحر ، الله يغفرها .

الذنوب لو أصبحت كالجبال ، الله يغفرها .

ﭽ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﭼ محمد: ١٩

يقول أنس > قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ الْحَدِيدِ وَجَلَاؤُهَا الِاسْتِغْفَارُ» رواه الطبراني في المعجم الصغير .

نستغفر الله ونتوب إليه .

ذكر الأذرعي ~ : «أَنَّ قال إِبْلِيس لِأَوْلِيَائِهِ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَأْتُونَ بَنِي آدَمَ؟ فَقَالُوا: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ: فَهَلْ تَأْتُونَهُمْ مِنْ قِبَلِ الِاسْتِغْفَارِ؟ فَقَالُوا: هَيْهَاتَ، ذَاكَ شَيْءٌ قُرِنَ بِالتَّوْحِيدِ. قَالَ: لَأَبُثَّنَّ فِيهِمْ شَيْئًا لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ مِنْهُ. قَالَ: فَبَثَّ فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ» رواه الدارمي (316) .

وفي الحديث يقول الشيطان: «أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، وَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ»

يا لها من لطمة جارحة أن يشهد الشيطان علينا بأنّنا نذنب ولا نستغفر الله ، نذنب ونجرم، ونخطئ، ونعرض، عن التوبة والاستغفار .

وايم الله لو وقفنا بين يدي الله بأعمالنا وذنوبنا دون أن يعلو صحائفنا (( استغفر الله ، استغفر الله ، استغفر الله وأتوب إليه )) لكنّا عرضة لعقوبة الله وبطشه .

كلنا نخطئ بالليل والنهار، فلماذا غفلنا عن استغفر الله وأتوب إليه ؟ لماذا نسينا ؟ ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الأعراف: ٢٣

أين نحن من قول الله تعالى : ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ النمل: ٤٦

استغفر الله العظيم ، كلمة قالها نوح # لقومه ، فأعرضوا عن ذكرها ، وجاهروا بردّها ، ففتح الله عذاباً من السماء وعذاباً من الأرض ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ القمر: ١١ - ١٢

وهود # يقول لقومه ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ هود: ٩٠

فأعرضوا وقالوا ﭽ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﭼ هود: ٥٣

فكانت الخاتمة ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ هود: ٦٠

استغفر الله وأتوب إليه .

قالها شعيب # لقومه ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ هود: ٩٠

فعتوا واستكبروا استكباراً وقالوا ﭽ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ هود: ٩١ فكانت النهاية

ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ هود: ٩٤ فبعداً لقوم لا يستغفرون .

كلّما رأيت الرجل معرضاً عن قول استغفر الله وأتوب إليه ،قليل البضاعة من رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ، فاعلم أنه محروم ، غرّه طول الأمل رسل الله وصفوة عباده يستغفرون الله تعالى ، فهذا كليم الله موسى # يقول : ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ الأعراف: ١٥١

وهذا آدم # ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الأعراف: ٢٣

وهذا نوح # ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ هود: ٤٧

وهذا خليل الله إبراهيم # ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ إبراهيم: ٤١

بل يخاطب الله نبيّه وخليله وصفيّه محمداً

ﭽ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓﰔ ﭼ محمد: ١٩

صدق ابن مسعود > وهو يصف حال المؤمن إذا زلّت به القدم ، وظلم نفسه بالذنب والإثم فقال : «إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ . رواه البخاري .

أين نحن من هذا الميزان ؟

وكيف نرى حالنا مع الذنب ؟

يا قوم الذنوب جراحات وربّ جرح وقع في مقتل

يا قوم الاستغفار دواءُ لذنوبنا ، وشفاءٌ لأسقامنا ، ومفتاحٌ لأرزاقنا .

جاء عند الترمذي مرفوعاً([[1]](#footnote-1)) أن الله أنزل على أمتي أمانين وتلا ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ الأنفال: ٣٣

فقال: فإذا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِمُ الِاسْتِغْفَارَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

من هنا كان نبينا الذي ألبسه الله لباس التقوى ، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر يتعاهد نفسه بالاستغفار ويقول لأصحابه : «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» رواه البخاري.

ويقول : «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» رواه مسلم .

وابن عمر > كان يقول : كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني .

وكان يقول في ركوعه وسجوده «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي» ويقول بعد سلامه من صلاته: «استغفر الله ، استغفر الله ، استغفر الله ...»

وتأمل حال المستغفرين بالأسحار ، يدعوك للعجب !!! فمع خلواتهم ، وقيامهم ، وقنوتهم ، وصلاتهم يقول الله واصفاً حالهم ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ الذاريات: ١٧ - ١٨

فطوبى ثم طوبى لمن عرف ربّه، واستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب .

طوبى ثم طوبى لمن عرف ضعفه وذكر ذنبه وجرمه،

فقال كما قال الخليل إبراهيم # :

ﭽ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ الشعراء: ٨٢

يَقُولُ نبيكم : «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا

يا كرام، إذا كثر الاستغفار، وصدر عن قلوب بربها مطمئنة دفع الله عنها ضروباً من النقم، وصرف عنها صنوفاً من البلايا والمحن: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ الأنفال: ٣٣

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ..

 الثانية

يجيء أبو بكر الصديق > ناهيكم ثمّ ناهيكم بمقام هذا الصحابي الكبير الجليل عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين ، يجيء هذا الصحابي إلى رسول الله قائلاً : يا رسول الله علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي . فيا ترى ما هذا الدعاء الذي يتناسب مع مقام أبي بكر الذي خلد الله ذكره فقال ثاني اثنين إذ هما في الغار؟

ما هو الدعاء الذي يتناسب مع الصديق الذي شرفه ربه بأعظم وسام فقال في شأنه : ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الضحى: ٥

أبو بكر الصديق > الذي زكاه رسول الله فقال : «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي» متفق عليه .

وإذا برسول الله يقول لأبي بكر قل : «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» رواه البخاري .

أبو بكر ظلم نفسه ظلماً كثيراً ماذا يقول أمثالنا ؟

ماذا يقول من تغشّاه الذنوب والخطايا من رأسه لأخمص قدميه ؟

ماذا نقول ونحن

نَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَنَرْتَجِي

دَرَجَ الْجِنَانِ لِدى النَّعِيمِ الْخَالِدِ

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنْ

 مَلَكُوتِهِ الْأَعْلَى بِذَنْبٍ وَاحِدِ

كلّنا يعلم أن المعاصي والذنوب هي الحالقة والحارقة لكلّ خير .

كلّنا يعلم أنّ الذنوب غذاء الفتن والبلايا، وبوّابةٌ للعاهات ، والآفات ، والويلات فيجيء الاستغفار كواحة أمنٍ وأمان ، يفيء العبد المذنب من خلالها إلى ربّه التّواب الرّحيم بالمغفرة والاستغفار ، فوالله ما ألهم الله عبداً الاستغفار إلا وهو يريد أن يفتح له باب التوبة والرحمة، فها هو الكريم سبحانه يدعوا عباده للاستغفار ﭽ ﮤ ﮥﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ قال ابن كثير : أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ فِي أُمُورِكُمْ كُلِّهَا؛ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنِ اسْتَغْفَرَهُ. **تفسير القرآن العظيم (8/260) .**

قِيلَ لِلْحَسَنِ: أَلَا يَسْتَحْيِي أَحَدُنَا مِنْ رَبِّهِ يَسْتَغْفِرُ مِنْ ذُنُوبِهِ، ثُمَّ يَعُودُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ، ثُمَّ يَعُودُ، فَقَالَ: وَدَّ الشَّيْطَانُ لَوْ ظَفِرَ مِنْكُمْ بِهَذِهِ، فَلَا تَمَلُّوا الِاسْتِغْفَارَ وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا أَرَى هَذَا إِلَّا مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي: أَنَّ الْمُؤْمِنَ كُلَّمَا أَذْنَبَ تَابَ. جامع العلوم والحكم، ص415 .

1. () سنن الترمذي ( 3082 ) [↑](#footnote-ref-1)